الآراء اللسانيّة عند حازم القرطاجني في ضوء اللسانيّات الحديثة

Linguistic Views of Hazim al-Qartajanni in the Light of Modern Linguistics

Dr Siddig Mohamed Ibrahim
Assistant Professor at the Department of Linguistics,
Faculty of Arabic, International Islamic University, Islamabad
Email: siddig19@yahoo.com
Dr Ghassan Abdul Majeed
Assistant Professor at the Department of Literature,
Faculty of Arabic, International Islamic University, Islamabad
Email: ghassan.abdulmajeed@iiu.edu.pk

Abstract
The Turāth (heritage) of classical Arabic linguistics is replete with advanced linguistic insights documented across a variety of sources. This study aims to uncover these insights and examine their parallels in modern linguistics through an analysis of selected works of classical Arabic criticism. The researcher contends that these texts present linguistic perspectives comparable to those found in contemporary linguistic theory. Through extensive Investigation, this study seeks to deepen understanding of Arabic linguistic heritage, fostering scholarly independence and equipping researchers in Arabic linguistics with the tools needed to move beyond sources that lack intellectual depth.
Keywords: linguistic perspectives, Arabic Turāth (heritage), modern linguistics

الملخص:

تشبَّع التراثُ اللغويُّ العربيُّ بأنظار لسانيّة متقدمة، وردتْ في مصادر متعددةٍ، يهدفُ هذا البحث إلى الكشف عنها، وبيان صِنوها في اللسانيّات الحديثة من خلال دراسة بعض كتب النقد العربي القديم التي يزعم الباحث أنها غنيّةٌ بتلك الأنظار، وقد تبيّن ذلك عبر استقراء مطوّل، كان الهدف منه التنقيب في التراث اللغوي العربي رجاءَ أن تسهم نتائجه في الاستقلال، وتحصين الباحث في اللغويّات العربيّة من التبعيّة التي تتسم بالفقر المعرفي.

الكلمات المفتاحيّة : الآراء اللسانيّة ، التراث العربي، اللسانيّات الحديثة.

أهداف البحث: يهدف هذا البحث إلى الكشف والتنقيب عن بعض القضايا اللسانيّة التي تضمنتها كتب النقد العربي القديم وإبراز القيمة المعرفية للتراث العربي في ضوء مفاهيم اللسانيات الحديثة، ومن تلك القضايا قضيّة (العلامة اللغويّة) التي تحدَّث عنها دي سوسيرت1913م وقبله حازم القرطاجني ت 1285م بتحليل أكثر عمقا، وكذلك قضيّة (التداوليّة)، وقضيّة (مناسبة الكلام لأقوال المتكلمين) وهو من أساسيّات البحث التداولي في اللسانيّات الحديثة، وهنالك قضيّة (أقسام الكلام من جهة التأدية والاقتضاء) ومسألة (اللفظ والمعنى) التي لا تكاد تخلو منها كتب النقد والتي تُعدُّ قضيّة لسانيّة بامتياز كقضيّة (الإشارة) و (التضمين) وغيرها، فهدف هذا البحث هو الجمع والكشف والتحليل والمقاربة في دراسة تشبه التأصيل.

حدود البحث:

تعدّدت المؤلفات التي ورد فيها شيء من آراء المتقدمين اللسانيّة ك: (العُمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده) لابن رشيق القيرواني 463هـ ، و(المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر) لضياء الدين بن الأثير 558هـ، وكذلك (منهاج البلغاء وسراج الأدباء) لأبي الحسن حازم القرطاجني 684هـ، بيد أني سأكتفي ببعض الآراء في هذا الأخير محاولا ذكر السياقات التي وردت فيها ومستعرضا لما ورد على ألسنة المحدثين وظُنَّ أنه حديث لم يسبق لم مثيل.

أسئلة البحث:

(**1**) هل مِنْ قضايا لسانيّة في كتب النقد العربي القديم؟ وما قيمتها العلميّة ؟

(**2**) ما أهميّة تتبع وجمع وتحليل القضايا اللّسانيّة في كتب النقد العربي القديم ؟

(**3**) هل أمست اللسانيّات العربيّة تابعة ومفتقرة لمقومات الريادة ؟

(**4**) هل التنقيب في (التراث) يمكن أن يسهم في تأسيس نظريّة لسانيّة عربيّة مستقلة ؟

منهج البحث: لقد اتبعت في معالجة قضايا هذا البحث ثلاثة مناهج علميّة وهي:

(**1**) المنهج الاستقرائي: وقد استعملته في دراسة المسائل محل النظر دراسة مخصوصة أي: انتقاء عيّنات عشوائيّة ما يعني استقراء ناقصا.

(**2**) المنهج الوصفي: وقد اعتمدت عليه في وصف المسائل وصفا مجردا كما وردت في مظانها.

(**3**) المنهج التحليلي: وقد اعتمدت عليه في عزل عناصر المسائل المدروسة بُغية إدراك جزئياتها بوضوح يُمَكِّنُني من الحُكم عليها أو الحُكم بمقتضاها.

تمهيد:اهتم العرب بالدراسات اللسانية منذ وقت مبكر، وقد بدأ من اهتمامهم بالقراءات القرآنيّة وعلوم اللغة العربيّة التي نشأت لخدمة النص القرآني، ولما كانت أصوات اللغة أصعب ما فيها أجادوا

وصف أصوات العربية ومخارجها وصفاتها بقوة الملاحظة وبما توافر لديهم من معارف وفي مقدمتهم أبو الأسود الدؤلي ت69هـ وقد اتبع الدؤلي منهجية فيزيولوجية سار عليها اللسانيون المعاصرون في دراسة علم الأصوات ، كما درسوا الحركات القصيرة والطويلة وفرقوا بينها كما لا كيفا ، وقد كان الخليل بن أحمد الفراهيدي ت170هـ رائدا في علم الأصوات من خلال ما قدمه من ترتيب مخرجي وما صنعه في (العين) وبحور الشعر العربي وقد سمّىٰ الخليلُ الصوائت القصيرة بالحركات، والطويلة بالحروف الهوائيّة أو حروف الجوف[1] ، ومن بعده سيبويه ت180هـ في (الكتاب) وفي القرن الرابع أبو نصر الفارابي ت 339هـ الذي قال: "الحروف منها مصوّت ومنها غير مصوّت، والمصوّتات منها قصيرة ومنها طويلة ، والمصوّتات القصيرة هي التي تسميها العرب الحركات"[2] لكنّ بعض العلماء المعاصرين[3] جمعوا الصوائت القصيرة والطويلة تحت مسمّىٰ الحركات القصيرة والطويلة ، ودوافعهم في ذلك أن ما اطلق عليه اسم حروف المد ما هي إلا حركات طويلة زادت عن الحركات القصيرة في الكميّة ، مستندين في ذلك على ما ذكره ابن جني في (سر صناعة الإعراب) حين قال:"اعلم أن الحركات أبعاض حروف المد واللين، وهي الألف والياء والواو، فكما أن هذه الحروف ثلاثة، فكذلك الحركات ثلاثة، وهي الفتحة والكسرة والضمة، فالفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء، والضمة بعض الواو...ويدلك على أن هذه الحركات أبعاض لهذه الحروف أنك متىٰ أشبعت واحدة منهن حدث بعدها الحرف الذي هي بعضه"[4] ولم تقف الدراسات العربية عند دراسة الأصوات بل تناولت كثرا من قضايا الألسنية المعاصرة التي ما فتئت تكرر وتعيد عرض ما سلف بعزو على استحياء وبغير عزو في أغلب الأحيان، وسأتناول في هذا البحث بعض تلك القضايا بالعرض والدراسة.

مدخل:

اللسانيّات، هذا المصطلح الحديث عرّفه أحمد محمد قدور في كتابه مبادئ اللسانيات[5] بأنه:"العلم الذي يدرس اللغة الإنسانيّة دراسة علميّة تقوم على الوصف ومعاينة الوقائع بعيدا عن النزعة التعليميّة والأحكام المعياريّة" وأردف قائلا وموضحا كلمة علم بأنها مطلب يتطلب اتباع طريقة منهجيّة وأسس موضوعيّة يمكن التحقق منها وإثباتها، والجدير بالذكر أن الكاتب ذكر المصادر التي استقى منها مادة كتابه وهي على حد قوله"مجموعة من المصادر الأجنبيّة المترجمة إلى العربيّة، ومجموعة أخرى من مصادر عربيّة لغويّة متنوعة" منها ما هو خالص ومنها ما هو متأثر بالدِّراسات الغربيّة، فتعريف اللسانيات انطلاقا من هذه الخلفيّة (الكثيفة) يؤكد أن المتقدمين أثروا هذا الحقل إثراء جعل المتأخرين دائرين في فلك معارفهم بالبناء على أصول أثبتت آثارهم أنها من بنات أفكارهم، هذا باستثناء الشمول

الذي تضمنه التعريف أي اللغة الإنسانيّة بصفة عامَّة، وإنْ بدا هذا الطرح ادعاء يتطلب إثباتا فإثباته في صفحات هذا البحث.

أما النزعة التعليميّة والأحكام المعياريّة فهي إشارة بيّنة لما ظل يُتهم به النحو العربي الذي قامت وما زالت تقوم عليه المعاني وتستقيم وقد أكد ذلك صاحب نظريّة النظم حين عرّفها بأنها:"توخي معاني النحو وأحكامه ووجوهه"[6]

وما من شك في أن اللسانيات الحديثة بمفهومها القائم (دراسة اللغة لذاتها ومن أجل ذاتها) تعد إضافة لحقل الدرس اللغوي الذي نشأ منذ قرون سلفت وإن تباينت الأغراض والمنهجيات ، وكثيرا ما تردد ادعاء كونه علم حديث على ألسنة المغرمين بكل وافد حيث أكدوا أنه كشف معرفي لم يسبق له مثيل ، ويتمثل هذا التفرّد في: أولا: دراسته للغة في ذاتها ومن أجل ذاتها، بينما العلوم اللغوية في العصور القديمة تمت دراستها من أجل فهم النصوص أو حفظها كما حدث مع اللغة الهندية ونصوصها المقدسة (الفيدا) وكذلك اللغة الصينية والعربية التي نشأت علومها نتيجة لتفشي اللحن في النص القرآني، أي إن الاختلاف منصب في الغرض من نشوء علوم اللسان التي تصف وتفسر خصائص اللغة بصفة عامة، ثانيا: المنهجية العلمية المختلفة بالإضافة للشمول (أي اللغة الإنسانية بصفة عامة). وبهذه المعاني وغيرها فإن اللسانيات كعلم حديث نشأ في بداية القرن التاسع عشر انطلاقا من محاضرات سوسير Saussureت 1917م، وهي حجة داحضة بآثار المتقدمين التي سيتم تفصيلها في الصفحات أدناه ، ولا يعدم الباحث منصفا هنا أو هناك كاللساني الفرنسي جورج مونان الذي قال: "إن اللسانيات الحديثة لم تنبثق فجأة في القرن التاسع عشر كما تنفجر العاصفة في سماء صافية ، لقد مهدت لظهورها آراء سابقة في اللغة"[7]

وبتتبع آثار المتقدمين والمتأخرين يتضح صدق الادعاء سالف الذكر وذلك من خلال بعض المباحث التي ناقشها أولئك وهؤلاء، ومنها مايلي:

❖ أولا: العلامة اللغويّة

يرى دوسوسير ت1913م أن العلامة اللغوية ليست ارتباط الأسماء بالمسميات وإنما هي ارتباط الصورة السمعية ذات الأثر النفسي لهذه المسميات بالصورة الذهنية لها[8] أي دال ومدلول، وبتقدم الدِّراسات اللسانيّة أضيف لهذه العلامة اللغويّة(دال + مدلول) عنصرا ثالثا أطلق عليه المرجع عند كل من ريتشاردز و أوجدن في كتابهما (the Meaning of Meaning)[9] اللذين اقترحا مثلثا أسمياه مثلث الإحالة وذلك في النظريّة الإشاريّة أي: إن معنى الكلمة يشير إلى غير نفسها[10]، أي إن المعاني

هي الصورة الحاصلة في الأذهان عن الأشياء الموجودة في الخارج وكلما أدرك شيء من هذه الأشياء حصلت له صورة في الذهن على النحو الآتي:

الفكرة

المرجع الرمز

وقد أشار الدكتور أحمد مختار عمر في كتابه (علم الدلالة) إلى أن ريتشاردز و أوجدن هما أول من طوّر ما يمكن أن يُسمى بالنظريّة الإشاريّة[11] في المثلث أعلاه، وبالوقوف عند كلمة طوّر، يتساءل الباحث هل هو تطوير من العلامة اللغويّة أي:دال ومدلول بإيجاد عنصر ثالث وهو المرجع أم تطوير من دراسات لغويّة عربيّة ضاربة في القدم؟

وأجدني أكاد أجزم أنها تطوير من جانبين ؛ جانب ذاتي أي في مفهوم العلامة نفسها بإيجاد عنصر ثالث وهو المشار إليه أعلاه، وتطوير من دراسات لغوية سالفة بوجه من الأوجه؛ وذلك نسبة لتقارب المفهوم من حيث التعريف وعناصره عند المتقدمين والمتأخرين ، ويبدو هذا جليا من خلال تعريفه عند سوسير ت1913م وعند حازم القرطاجني ت 1285م في كتابه منهاج البلغاء وسراج الأدباء، والذي أورد فيه مفهوم العلامة اللغوية ، وإن لم يسمها بالمصطلح الحديث بيد أن المفهوم الذي قدمه يقوم في جوهره على مفهوم مصطلح العلامة اللغوية التي سمها وعرفها فرديناند دي سوسير، فمفهوم العلامة اللغوية عند القرطاجني على النحو الآتي:

الصورة الذهنيّة (المدلول)

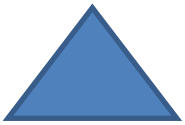

الموجودات في الأعيان اللفظ (العبارة)

فمن خلال هذا الرسم البياني **بيّن** القرطاجني ت 1285م مفهوم العلامة اللغويّة قائلا: إن المعاني هي الصورة الحاصلة في الأذهان عن الأشياء الموجودة في الأعيان، فكل شيء له وجود خارج الذهن فإنه إذا أدرك حصلت له صورة في الذهن تطابق لما أدرك منه، فإذا عبّر عن تلك الصورة الذهنيّة الحاصلة عن الإدراك أقام اللفظ المعبر به هيئة تلك الصورة الذهنيّة في أفهام السامعين وأذهانهم، فصار للمعنى وجود آخر من جهة دلالة الألفاظ، فإذا احتيج إلى وضع رسوم من الخط تدل على الألفاظ من لم يتهيأ من المتلفظ بها صارت رسوم الخط تقيم في الأفهام هيآت الألفاظ فتقوم بها في الأذهان صور المعاني فيكون لها أيضا وجود من جهة دلالة الخط على الألفاظ الدالة عليها[12]، وأوجه الشبه بين مفهوم العلامة اللغوية عند الرجلين جلية بين يدي القارئ وبينهما ما يربو على ستة قرون.

❖ ثانيا: التداوليّة Pragmatics

هي إحدى المصطلحات اللسانيّة الحديثة ذات الجذور الضاربة في القدم وتعني: المذهب اللساني الذي يدرس علاقة النشاط اللغوي بمستعمليه، وطرق وكيفيات استعمال العلامات اللغويّة بنجاح ، والسياقات والطبقات المقامية المختلفة التي يُنجز ضمنها الخطاب ، والبحث عن العوامل التي تجعل من الخطاب رسالة تواصليّة واضحة وناجحة[13]

وباختصارٍ فإن التداوليّة هي: "علم الاستعمال اللغوي"[14] ، "فهي تضم البنية اللغويّة وقواعد التخاطب والاستدلالات التداوليّة والعمليّات الذهنيّة المتحكمة في الإنتاج والفهم اللغويين وعلاقة البنية اللغويّة بظروف الاستعمال، فهي حلقة وصل بين كل هذه الحقول المعرفيّة"[15]

أما "مهامها فهي: دراسة "استعمال اللغة" التي لا تدرس البنية اللغويّة ذاتها ، ولكن تدرس اللغة عند استعمالها في الطبقات المقاميّة المختلفة، أي باعتبارها كلاما محددا صادرا من متكلم محدد وموجها إلى مخاطب محدد بلفظ محدد في مقام تواصلي محدد لتحقيق غرض تواصلي محدد"[16]

وقد اهتم المتقدمون من علماء العربيّة بقضيّة المقام Context أيما اهتمام إذ أنه يتعلق ببحث العلاقة التي تجمع اللغة بمستعمليها مع مراعاة مستويات استعمالها والظروف الآنية لكل موقف، ومن هؤلاء صاحب المنهاج الذي كثيرا ما لهج بالمقولة العربيّة الشهيرة (لكل مقام مقال)[17] وذلك في معرض حديثه عن تقسيم كلام العرب المنظوم إلى جد وهزل وكذلك الحديث عنه من حيث الملاءمة، كما أكد العرب قديما على مركزيّة هذه القضيّة في كلامهم ، فهاهو المتنبي تـ 354هـ يقول في هذا المعنى مادحا سيف الدولة في قصيدته التي مطلعها: لكل امرئ من دهره ما تعودا * وعادة سيف الدولة الطعن في العدى:

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته * وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

ووضع الندى في موضع السيف بالعلا * مضر كموضع السيف في موضع الندى[18]

ويدور البيت حول قضية الملاءمة ، وقد تحدث مسعود صحراوي في كتابه (التداولية عند العلماء العرب – دراسة تداولية لظاهرة (الأفعال الكلامية) في التراث اللساني العربي) عن نظرية الملاءمة Theorie de la pertinence قائلا: "تعد نظرية الملاءمة نظرية تداوليّة معرفيّة أرسى معالمها كل من اللساني البريطاني ديردر ولسنD.Wilson والفرنسي دان سبربرD.Sperber"[19]، ولفظ (أرسى معالمها) فيه ما فيه من محددات تتعلق بالتداول اللغوي مثل السياق والمقام سالف الذكر عند المتقدمين.

وفي ذلك سبق علمي معرفي جدير بالوقوف عنده ، وهو ما تميّز به المتقدمون من علماء العربية في الدراسات اللسانيّة كما يمكن البناء عليه لبلورة نظريات لسانيّة مستقلة تمهد السبيل للتحرر من التبعيّة في بعض العلوم الإنسانيّة.

وإذا ثبت لدى أهل العلم أن النظريّة هي:"ترتيب أمور معلومة على وجه يؤدي إلى استعلام ما ليس بمعلوم"[20] وأنها: "فرض علمي يربط عدة قوانين بعضها ببعض ويردها إلى مبدأ واحد يمكن أن نستنبط منه حتما أحكاما وقواعد"[21] فإن الدراسات العربيّة القديمة تعد ذخيرة ثرة تؤهل أصحابها لبلورة نظرية لسانية عربيّة مستقلة.

❖ ثالثا: الاقتضاءPresupposition:

الاقتضاء نوع من أنواع دلالات الألفاظ التي تفهم من لوازم المعنى أو ضروراته، وفيما يلي مفهومه لغة واصطلاحا، أما لغة فهو:" مصدر من الفعل اقتضى والثلاثي من قضى يقضي قضيا، والمصدر منه القضاء، وهو الفصل والحكم، يقال: قضى قضاء فهو قاض إذا حكم وفصل ، وقضاء الشيء: إحكامه وإمضاؤه، والفراغ منه، وقضى الغريم دينه قضاء : أدّاه إليه ، واستقضاه: طلب إليه أن يقضيه"[22]، وفي الاصطلاح هو:المضمون الذي تبلّغه الجمله بكيفية غير صريحة، فإن قال القائل(كف زيد عن ضرب زوجته)، فإنه قال صراحة إن زيدا لا يضرب زوجته الآن"[23]، والاقتضاء هوأضعف من الإيجاب، لأن الحكم إذا كان ثابتا بالاقتضاء لا يقال يوجب ، بل يقال يقتضي ، والإيجاب يستعمل فيما إذا كان الحكم ثابتا بالعبارة أو الإشارة أو بالدلالة فيقال : النصر يوجب ذلك ؛ أما الاستلزام فهو عبارة عن امتناع الانفكاك فيمتنع فيه وجود الملزوم بدون اللازم، بخلاف الاقتضاء فإنه يمكن وجود المقتضى بدون مقتضاه[24]

والاقتضاء لأهميته قد حظي باهتمام الفقهاء والمتكلمين والفلاسفة المتقدمين فهو عند سيف الدين الآمدي ت631هـ "ما كان المدلول فيه مضمرا؛ إما لضرورة صدق المتكلم ، وإما لصحة وقوع الملفوظ به، فإن كان الأول فهو كقوله صلى الله عليه وسلم:"رفع عن أمتي الخطأ والنسيان ، وما استكرهوا عليه" وقوله عليه الصلاة والسلام "لا صيام لمن لم يبيّت الصيام من الليل" وقوله عليه السلام "لا عمل إلا بنية" فإن رفع الصوم والخطأ والعمل مع تحققه ممتنع؛ فلابد من إضمار نفي حكم يمكن نفيه؛ كنفي المؤاخذة والعقاب في الخبر الأول ونفي الصحة أو الكمال في الخبر الثاني ، ونفي الفائدة والجدوى في الخبر الثالث ضرورة صدق الخبر وأما إن كان لصحة الملفوظ به فإما أن تتوقف صحته عليه عقلا أو شرعا فإن كان الأول كقوله تعالى"واسأل القرية" أي أهل القرية لصحة الملفوظ بع عقلا، وإن كان الثاني فكقول القائل لغيره (أعتق عبدك عني على ألف) فإنه يستدعي تقدير سابقه انتقال الملك

إليه ضرورة توقف العتق الشرعي عليه[25]، وقد عرَّف الغزالي الاقتضاء بأنه:"ما لا يدل عليه اللفظ، ولا يكون منطوقًا، ولكن يكونُ من ضرورة اللفظ، إما من حيث لا يكون المتكلم صادقًا إلا به، أو من حيث يمتنعُ وجود الملفوظ شرعًا إلا به، أو من حيث يمتنعُ ثبوتُه عقلاً إلا به"[26] وبناء على ذلك فإن دلالة الاقتضاء وفقا لتعريف الغزالي ثلاثة أنواع: الأول: المقتضى الذي يجب تقديرُه لصِدق الكلام، مثل قوله صلى الله عليه وسلم:"مَن لَم يجمعِ الصيامَ قبل الفجر، فلا صيامَ له"[27]؛ فالحديثُ الشريف ينفي الصومَ، والصوم لا ينتفي بصورتِه، فمعناه لا صيامَ صحيحًا أو كاملاً، فيكون حُكم الصوم هو المنفيَّ لا نفسه، والحُكم غير منطوق به، لكن لا بد منه لتحقُّق صِدق الكلام[28] الثاني: المقتضى الذي يجب تقديرُه لصحة الكلام عقلاً، ومثاله قوله تعالى:"وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ"[29] أي: أهلَها؛ إذ القريةُ هي الأبنية المجتمِعة، لا يصح سؤالُها عقلاً، فلا بد من تقديرِ لفظ أهلها ؛ ليصحَّ الكلامُ من جهة العقل، فيُصبِح التقدير: واسأل أهل القرية التي كنا فيها[30] الثالث: المقتضى الذي يجب تقديرُه لصحةِ الكلام شرعًا؛ كالأمر بتحريرِ رقبةٍ مملوكة للقائم بالفعل في قوله تعالى:"فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ"[31]، فهذا الأمرُ مقتضٍ للمِلْك؛ لأن تحرير الحرِّ لا يتصور، وكذلك تحرير مِلك الغير عن نفسه، فمِلْك الرقبة ثابتٌ بالنص اقتضاءً، فصار التقديرُ:فتحرير رقبة مملوكة[32]، وقد أدرجت دلالة الاقتضاء عند كثير من المؤلفين ضمن دلالات المنطوق غير الصريح كدلالات الكلام الإشاري.

وكذلك اهتم النحويون بالاقتضاء ومفهومه في علم النحو، ومنهم ابن يعيش إذ يقول:"ضَرَبَ وقَتَلَ، ألا ترى أن الضرب والقتل يقتضيان مضروبا ومقتولا؟... وكل واحد من أفعال الحواس يقتضي مفعولا مما تقتضيه تلك الحاسة ، فالبصر يقتضي مبصرا والشم يقتضي مشموما والسمع يقتضي مسموعا ، فكل واحد من أفعال هذه الحواس يتعدى إلى مفعول مما تقتضيه تلك الحاسة"[33] .

وفي اللسانيات الحديثة نجد أن مفهوم الاقتضاء قد استعمل عند اللسانيين الغربيين على النحو الآتي: يقول استراوسن[34] (Strawson): إذا كانت (أ) تقتضي (ب) فبالضرورة يجب أن تكون (ب) صادقة لكي يثبت صدق وكذب (أ)"[35] وهي محاولة لتحديد شروط الاستعمال اللغوي والتي تعد أسا في الدرس التداولي ، وقد سبقت الإشارة إلى أن التداوليّة هي:(علم الاستعمال اللغوي) ويحار الباحث العربي في الأمر، ألم يتم الاطلاع على التراث اللغوي العربي؟ أم تم الاطلاع عليه ولكن وُجد أن ما في التراث اللغوي العربي مفاهيم متناثرة لم يستقر لها تعريف أو لم يُجمع عليها أو لم تتبلور كنظريات ؟ ومهما يكن من أمر فإن الحديث عن مفهومٍ ما لا يعد اكتشافا لغويا في مجاله طالما هنالك سبق معرفي فيه، ويرجح الباحث قضية التأثير والتأثر في العلوم الإنسانية ، وقد أكد مسألة التأثر الأستاذ الدكتور نهاد الموسى في كتابه:(نظرية النحو العربي في ضوء اللسانيات الحديثة) قائلا: إن كثيرا من

الأنظار التي وجدها في كتب المحدثين من الغربيين ولابسها في محاضراتهم ومقابساتهم يوافق عند عناصر كثيرة منه ما قرأ عند النحويين العرب مصرحين به حينا وصادرين عنه كثيرا من الأحيان[36] وتبقى علامة الاستفهام.

❖ **رابعا: التضمين:**

والتضمين أسلوب من الأساليب العربية التي تعددت مفاهيمها و تعريفاتها، فهو:"أن يُضمّن الفعل معنى فعل آخر فيجري مجراه"[37] وفي لسان العرب:"ضمّن الشيء الشيء أودعه إياه كما تودع الوعاء المتاع"[38] وهو:إيقاع لفظ موقع غيره لتضمين معناه"[39] كما أنه "إيقاع لفظ موقع غيره لتضمينه معناه" ، وفي الأسماء بأن يضمن اسم معنى اسم آخر ، ليفيد معنى الاسمين جميعا، كما ضمن لفظ (حقيق) معنى حريص في قوله تعالى :"حَقِيقٌ عَلَى أَن لاَّ أَقُولَ عَلَى اللهِ إِلاَّ الْحَقَّ"[40] في الأفعال أيضا، كما ضمن لفظ (يشرب) معنى يروي في قوله تعالى:"عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ)[41] ويعرف التضمين في الفعل بحرف الجر الذي عدِّي به كما عرفنا تضمين (يشرب) معنى يروي ؛ لتعديته بالباء دون (من) التي من عادته التعدِّي بها ، إذ الشرب يكون من عين البئر لا بها، وقال ابن عاشور:"وقد عده الأصمعي والفارسي وابن قتيبة وابن مالك في معاني الباء ، وينسب إلى الكوفيين واستشهدوا له بهذه الآية وليس ذلك ببيّن فإن الاستعمال العربي يكثر فيه تعدية فعل الشرب بالباء دون (من)، ولعلهم أرادوا به معنى الملابسة، أو كانت الباء زائدة كقول أبي ذئيب يصف السحاب:

شربن بماء البحر ثم ترقّعت * متى لُجَجٍ خُضر لهن نئيجُ[42]

ويقع التضمين في الحروف عبر تناوب دلالاتها ، كما جاء عن فاضل صالح السامرائي في (معاني النحو) ضاربا لذلك مثلا بتناوب حرفي الجر (إلى) و (في) مستشهدا بقول الشاعر:

فلا تتركنّي بالوعيد كأنّني * إلى الناس مطليّ به القار أجرب أي في الناس[43]

أما التضمين عند ستراوسن فهو:"أن يتضمن قولا ما قولا آخر، ومعنى ذلك أنه من غير المنطقي أن نؤكد الأول وننفي الثاني"[44] أي الجملتان بمعنى واحد مع اختلاف في المفردات، ووالناظر لهذه الأوجه المعرفية والأبعاد الفلسفية التي بنيت عليها معظم العلوم اللسانية (الحد – المادة العلمية – الغاية العلمية) تتبين أمامه الحقائق جليّة، والسبق المعرفي لا يخفى على ذي بصيرة.

النتائج:

حاولت في هذا البحث عرض وتحليل بعض القضايا اللسانية الحديثة التي سبق أن تناولها علماء العربية بالدراسة على وجه من الوجوه ثم برزت على السطح كقضايا لسانية (جديدة) وقد خلصت الدراسة إلى النتائج الآتية:

1- أثبتت الدراسة ثراء التراث اللغوي العربي بآراء لسانية متقدمة في وقت لم تشهد فيه البشرية تقدما تقنيا لإخضاع العلوم للتجارب المخبرية وغيرها ، كما أكدت الدراسة القيمة العلمية والمعرفية لتلك القضايا .

2- أشارت الدراسة لأهمية تتبع الآراء اللسانيّة في كتب المتقدمين منعا للتكرار المهدر للوقت والجهد.

3- أكدت الدراسة أن للسانيات العربية سبق معرفي يؤهل أصحابها لتأسيس نظريات لسانية مستقلة ومراعية لخصوصية النصوص العربية.

4- أشارت الدراسة إلى القصور البيّن في بلورة نظرية لسانية عربية مستقلة من دراسات لغوية عربية لا تعوزها المناهج أو طرق البحث العلمي التي ألمت بها مبكرا.

وأخيرا فإن كثيرا من الظواهر اللغوية وجدت حظها من الوصف والبحث والدراسة لكنّ الباحث في القضايا اللغوية من الغربيين خاصة قلما يلتفت لأعمال المتقدمين في الدراسات اللغوية العربية وهو أمر يصعب تفسيره فالمعارف الإنسانية إن لم تكن حلقات تكمل بعضها بعضا لأمست جهودا ضائعة وعملا مكرورا ؛ وخير الشواهد على ذلك الدراسات اللغوية الغربية التي أعادت دراسات سابقة بتصورات حديثة ولم تشر لذلك.

الهوامش

[1] انظر كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي ت 170هـ ، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي ، ج1 ، ص57 ، سلسلة المعاجم والفهارس.

[2] كتاب الموسيقى الكبير لأبي نصر محمد بن محمد بن طرخان الفارابي ت 339هـ ، تحقيق غطاس عبدالملك خشبة ، دون طبعة، ص1072 ، دار الكاتب العربي ، القاهرة – مصر

[3] منهم سمير شريف إستيتية في كتابه (الأصوات اللغويّة رؤية عضويّة نطقيّة وفيزيائيّة) ط1 ، ص 203 – 204، يُطلب من دار وائل للنشر عمّان – الأردن ، وكذلك إبراهيم أنيس في كتابه (الأصوات اللغويّة) ص 39-40 ، مكتبة نهضة مصر.

[4] سر صناعة الإعراب ، لأبي الفتح عثمان بن جني ت 392هـ ، تحقيق حسن هنداوي ، ط2، ج1 ، ص 17-18 ، دار القلم – دمشق 1993م

[5] مبادئ اللسانيات ، للدكتور أحمد محمد قدور، ص 11 ، الطبعة الثالثة ، دار الفكر دمشق 2008م

[6] دلائل الإعجاز لأبي بكر عبد القاهر الجرجاني ، قراءة وتعليق محمود محمد شاكر ط5 ص 525 مكتبة الخانجي بالقاهرة 2004م

[7] نقلا عن (في اللسانيات العامة تاريخها – طبيعتها – موضوعها – مفاهيمها)، مصطفى غلفان، الطبعة الأولى 2010م ، ص96 G.M. histoire de la linguistique . p.3 دار الكتاب الجديد المتحدة ، دار الكتب الوطنية – ليبيا.

[8] محاضرات في الألسنية العامة ، ترجمة يوسف غازي و مجيد النضر ، دط 1986م ص88 ، المؤسسة الجزائرية للطباعة.

[9] انظر علم الدلالة ، لأحمد مختار عمر، ص54 ، ط5 1998م عالم الكتب – القاهرة

[10] انظر علم الدلالة لأحمد مختار عمر ، الطبعة الخامسة 1998م ، ص55، عالم الكتب – القاهرة

[11] انظر علم الدلالة ، لأحمد مختار عمر ص54

[12] منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني ، ص18 ، ط3 2008م ، الدار العربية للكتاب

[13] التداولية عند العلماء العرب ، د. مسعود صحراوي ، ص5 ، دار الطليعة – بيروت

[14] النص والسياق: استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، فان دايك، ترجمة عبدالقادر قنيني، الدار البيضاء، دار أفريقيا الشرق ، دط ص13

[15] التداولية عند العلماء العرب ، د.مسعود صحراوي ، دار الطليعة بيروت ، ص16

[16] التداولية عند العلماء العرب ، د.مسعود صحراوي ، دار الطليعة بيروت ، ص26

[17] انظر منهاج البلغاء ، ص297 و 298

[18] ديوان المتنبي، لأبي الطيب أحمد بن الحسين الجعفي المتوفى سنه 354هـ ، ص372 دار بيروت للطباعة والنشر – بيروت 1983م وكلمة الندى الأولى أي: الجود والثانية : المطر الخفيف ، يقول: ينبغي أن يوضع كل شيء في محله وغير ذلك مضر

[19] التداولية عند العلماء العرب ، دراسة تداولية لظاهرة (الأفعال الكلامية) في التراث اللساني العربي، د.مسعود صحراوي ، ص36 ، ط1 ، 2005م ، دار الطليعة – بيروت

[20] الكليات ، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي ت1094هـ ،ص 904 ،ط2 1998م مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر ، بيروت.

[21] المعجم الفلسفي ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، 1983م ص 202 ، تصدير الدكتور إبراهيم مدكور ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية 1983م

[22] لسان العرب لابن منظور ، ط1 1997م، ج5 ، مادة قضي ص 278 دار صادر – بيروت ، لبنان

[23] التداولية اليوم علم جديد في التواصل ، جاك موشلار – آنروبل ، ترجمة سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني،ط1 2003م ص47 ، المنظمة العربية للترجمة ، دار الطليعة – بيروت ، لبنان .

[24] الكليات – معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأبي البقاء أيوب بن موسى الكفوي ت1683م قابله على نسخة خطية وأعده للطبع عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة ط2 1998م ، ص159 بيروت لبنان .

[25] انظر الإحكام في أصول الأحكام لعلي بن محمد الآمدي ج3 ص18-82، ط1 2003م تعليق الشيخ عبد الرزاق عفيفي ، دار الصميعي للنشر – الرياض.

[26] المستصفى ، ج2 ، ص 186

[27] أخرجه أبو داود في كتاب الصوم، باب النية في الصوم.

[28] المستصفى ، ج2 ، ص172

[29] سورة يوسف ، الآية 82

[30] انظر شرح المفصل لابن يعيش ت 643هـ ، تصحيح وتعليق مجموعة من علماء الأزهر الشريف ج7، ص62 ، دار الطباعة المنيرية – مصر

[31] لباب الإعراب لتاج الدين محمد بن محمد بن أحمد الإسفراييني ت 684هـ ، تحقيق بهاء الدين عبدالوهاب عبدالرحمن، ط1 1984م ، ص499 ، دار الرفاعي – الرياض .

[32] حاشية العطار على جمع الجوامع ج1، ص 316

[33] شرح المفصل لابن يعيش ، تحقيق إميل بديع يعقوب ، ج1 ، ص 11 ، دار الكتب العلمية 2001م

[34] هو بيتر فريدريك ستراوسون (1919-2006) أحد الفلاسفة الإنجليز والأكاديميين بجامعة اكسفورد وقد كان أستاذا للفلسفة الميتافيزيقية في كلية ماجدالين، وله مؤلفات عديدة منها: مقدمة في النظرية المنطقية .

[35] انظر Strawson . B.F "Introduction Tological theory" pp:132: Newyork: wiley et sons:1952

[36] كتاب نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث ، د.نهاد الموسى ، ص9 ، ط1 1980م المؤسسة العربية للدراسات والنشر- عَمَّان

[37] التضمين والتناص، لمنير سلطان ، ص 22 ، منشأة المعارف – الاسكندرية 2003

[38] لسان العرب ، مادة ضمن

[39] انظر البديع في علم البديع ليحيى معطي الاسكندرية دار المعرفة الجامعية 1996م ص138

[40] سورة الأعرف ، الآية 105

[41] سورة الإنسان ، الآية 6

[42] تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور الجزء الثلاثون ، ص208 الدار التونسية للنشر

[43] انظر كتاب معاني النحو لفاضل صالح السامرائي ، المجلد الثالث ، الطبعة الثانية 2003م ، ص15 ، شركة العاتك للنشر – القاهرة

[44] "Introduction Tological theory" Strawson . B.F مقدمة في النظرية المنطقية، وُلد بيتر فريدريك ستراوسن في عام 1919م بلندن وتوفي بها عام 2006 عمل لمدة عشرين سنة بجامعة اكسفورد وكان أول عضو في الأكاديمية البريطانية عام 1960 كما تم تكريمه عام 1977م تقديرا لعلمه الفلسفي ودوره الأكاديمي كما اشتهر بأنه أحد الذين صاغوا لاكسفورد فلسفة وصفت بأنها فلسفة اكسفورد Oxford Philosophy وجعلت للغة العادية فلسفة أطلقوا عليها فلسفة اللغة العادية Ordinary Language Philosophy وقد ألف عشرة كتب كان أولها : مقدمة إلى النظرية المنطقية introduction to logical theory ناقش فيه السمات المنطقية للغة العادية والعلاقة بين هذه اللغة والمنطق الصوري، انظر فلسفة اللغة والمنطق – دراسة في فلسفة ستراوسن ، دكتور السيد عبد الفتاح جاب الله الطبعة الأولى 2014م ، ص13 مؤسسة الوراق- الأردن.

المراجع:

1- الإحكام في أصول الأحكام لعلي بن محمد لآمدي، تعليق عبدالرزاق عفيفي، ج2 ص116.
2- البديع في علم البديع ليحيى معطي الاسكندرية دار المعرفة الجامعية 1996م ص138
3- التداولية عند العلماء العرب ، دراسة تداولية لظاهرة (الأفعال الكلامية) في التراث اللساني العربي ،د.مسعود صحراوي، ص36 ، ط1 ، 2005م ، دار الطليعة – بيروت
4- التضمين والتناص، لمنير سلطان ، ص 22 ، منشأة المعارف – الاسكندرية 2003
5- تفسير النصوص (1/ 550).
6- حاشية العطار على جمع الجوامع (1/ 316).
7- دلائل الإعجاز لأبي بكر عبد القاهر الجرجاني ، قراءة وتعليق محمود محمد شاكر ط5 ص 525 مكتبة الخانجي بالقاهرة 2004م
8- ديوان المتنبي، لأبي الطيب أحمد بن الحسين الجعفي المتوفى سنه 354هـ ، ص372 دار بيروت للطباعة والنشر – بيروت 1983م وكلمة الندى الأولى أي: الجود والثانية : المطر الخفيف ، يقول: ينبغي أن يوضع كل شيء في محله وغير ذلك مضر
9- سنن أبي داود ، كتاب الصوم، باب النية في الصوم.
10- علم الدلالة لأحمد مختار عمر ، الطبعة الخامسة 1998م ، ص55، عالم الكتب – القاهرة

11- كتاب نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث ، د.نهاد الموسى ، ص9 ، ط1 1980م المؤسسة العربية للدراسات والنشر- عَمَّان

12- الكليات – معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، لأبي البقاء أيوب بن موسى الكفوي ت 1683م ، ط 2 1998م ، ص 904 قابله على نسخة خطية عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت.

13- مبادئ اللسانيات ، للدكتور أحمد محمد قدور، ص 11 ، الطبعة الثالثة ، دار الفكر دمشق 2008م

14- محاضرات في الألسنية العامة ، ترجمة يوسف غازي و مجيد النضر ، دط 1986م ص88 ، المؤسسة الجزائرية للطباعة.

15- المستصفى من علم الأصول لأبي حامد الغزالي ، اعتناء ناجي السويد، الجزء الثاني ، ص186 .

16- المعجم الفلسفي ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، 1983م ص 202

17- معجم لسان العرب ، مادة ضمن

18- مقدمة في النظرية المنطقية بيتر فريدريك ستراوسون (1919-2006)

19- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني ، ط3 2008م ،الدار العربية للكتاب – تونس

20- النص والسياق: استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، فان دايك، ترجمة عبدالقادر قتيتي، الدار البيضاء، دار أفريقيا الشرق ، دط ص13

21- Strawson. B.F “Introduction Tological theory”.

22- Strawson. B.F “Introduction Tological theory” pp:132: Newyork: wiley et sons:1952.